الجماهر في الجواهر

لأبي ريحان البيروني

تحقيق يوسف الهادي

صادق العبادي
باحث شؤون إسلامية - طهران - إيران

البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد . الجماهر في الجواهر ؛ تحقيق : يوسف الهادي .- طهران : مكتب نشر التراث المخطوط وشركة انتشارات علمي فرهنكي ، ١٩٩٥م .

كتاب «الجماهر في الجواهر» لأبي ريحان البيروني طُبِعَ في حلّة جديدة (طهران ، مكتب نشر التراث المخطوط وشركة انتشارات علمي فرهنكي ، ١٩٩٥م) تحقيق يوسف الهادي مع مقدمة طويلة شملت مائة صفحة ، وثلاثة عشر فهرساً ومن أجل إطلاع القارئ الكريم على خصائص هذه الطبعة وموضوعاتها وأهمية الكتاب نقوم بعرض هذا الكتاب .

دوافع التحقيق والنشر الجديد :

يعود الفضل في نشر كتاب الجماهر لأول مرّة للمحقق الألماني فريتز كرنكو (Fritz Krenko) الذي بذل جهداً جسيماً في جمع مخطوطاته وتحقيقه ، حيث نشره في حيدر أباد الدكن بالهند عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م بعنوان «الجماهر في معرفة الجواهر» معتمداً على مخطوطتين مليئتين بالغلط والتصحيف ، وبعد انتهائه من تحقيق الكتاب وصلته نسخة ثالثة مصورة عن نسخة بمكتبة طوبقابوسراي بالآستانة ، وقد علق كرنكو على النسخة الثالثة بقوله : وهذه النسخة لو كانت فريدة لكانت كافية للنشر، إذ إن كاتبها كان رجلاً عالماً باللغة والموضوع ، وهو يسمي نفسه مراراً في الحواشي «ابن خطيب داريا» ولوددت أن هذه النسخة وقعت في يدي قبل الأُخريين (١) .

والذي دفع المحقق يوسف الهادي لإعادة تحقيق هذا الكتاب وطبعه عبر «مكتب نشر التراث المخطوط» هو أن كرنكو قد أفاد من نسخة طوبقابو الممتازة ، وصحّح في ضوئها ما أمكنه من غوامض الكتاب والتصحيف الذي فشا فيه ، ومع ذلك بقي جزء كبير من تلك الأغلاط لأسباب لم يكن بمقدوره أن يتغلب عليها ، إمّا للتشويه المفرط الذي حل بالكلمة أو العبارة ، أو بسبب غرابتها أو بسبب حذف غير متعمد قام به ناسخ الكتاب مما أدّى بكرنكو إلى أن يجتهد في قراءتها بشكل نأى بها عن الأصل (**المقدمة ص٥**) إضافة إلى بساطة الطباعة التي طبع فيها الكتاب من حيث الحروف والإخراج وبدايات الجمل ، وهو أمر كان ممكناً ومتناسباً مع بساطة آلات الطباعة في الهند في ذلك التاريخ (**المقدمة ص ٥**) .

وهناك طبعة أخرى طبعت في موسكو عام ١٩٦٣م تقع في ٥١٨ صفحة بتحقيق م . بيلنسكي ، ترجمها إلى الروسية مع تعليقات الجيولوجي ليملين (٢) .

وقد اعتمد المحقق في تصحيح التصحيف على مخطوطة (نخب من كتاب الجماهر في الجواهر) لخص فيها كاتب مجهول كتاب الجماهر حيث أبقى على المادة العلمية فقط من الكتاب وحذف المتعلق منها بالأدب واللغة والتاريخ والفلسفة والفولكلور . إذ كانت هذه المخطوطة عوناً مهماً في تصحيح التصحيف الذي ابتلي به الكتاب وفي سدّ الفجوات ، فمثلاً احتفظت هذه النسخة بفصل (الرصاص) وهو الفصل المفقود من النسخ كافة سواء نسخة إستانبول أم النسختان اللتان اعتمدهما المحقق كرنكو (ص ٥) .

ومن الدوافع التي دعت إلى تحقيق كتاب الجماهر وطبعه أن عدم توفره في أيدي الباحثين سبب عدم ظهوره في بعض المصادر والقوائم وعدم ظهوره مثلاً ضمن قائمة مصادر كتاب المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة

لإبراهيم بن مراد، ولا في كتاب الموازنة بين الطائيين لمحمد رشاد محمد صالح . كما لم يوجد ذكر للجماهر ضمن قائمة مصادر كتاب يفترض أن يقتبس فيه من المعلومات التي نثرها البيروني فيه ، أي كتاب تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية لشوقي عبدالقوي عثمان مما يكشف عدم توفره لدى الباحثين . كانت تلك نماذج مما يمكن أن يكون حافزاً لتقديم كتاب الجماهر مجدداً وبحلّة جديدة إلى المكتبة العربية (**المقدمة ص ٧**) .

وقد قام المحقق نظراً لخبرته باللغة الفارسية ، ووجود المصادر العربية والفارسية أيضاً لديه بإضافة المعلومات المطلوبة والتحقيق في كثير من المفردات التي كانت بحاجة إلى توضيح . فقد حاول المحقق توضيح أكثر الأعلام والمصطلحات والمفردات والأماكن التي وردت في الأصل بدون توضيح ، مما يساعد القارئ على فهم الكتاب بشكل أفضل . وكان من الأجدر أيضاً إضافة التعاريف العلمية الحديثة للمعادن والجواهر وعدم الاكتفاء بتعريفها القديم .

أهمية الكتاب :

والكتاب مرجع مهم وقديم في الجواهر واللآلي، والأحجار الكريمة والمعادن والفلزات ؛ ففي المقالة الأولى ذكر البيروني عن الياقوت والألماس واللؤلؤ والزمرد والفيروز والعقيق والكهرباء والمغناطيس والزجاج والمينا وحوالي ثلاثين نوعاً من الأحجار . أما المقالة الثانية فجاءت في المعادن والفلزات فذكر فيها عن الزئبق والذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والأسرب . أما المقالة الثالثة فاختصت بالمحمولات والممزوجات بالصنعة .

ورغم أن موضوع الجماهر في الأصل مخصص للحديث عن الجواهر والمعادن الثمينة ثم عن الفلزات الأخرى ، إلا أن البيروني حشد فيه طائفة نادرة من المعلومات الجغرافية والتاريخية والأدبية واللغوية ، إضافة إلى المباحث الفلسفية والمواد الفولكلورية .

مصادر الجماهر وكتب أخرى عن الجواهر :

تنوعت مصادر البيروني في كتاب الجماهر وتعددت ألا إن الأساسية منها كانت ثلاثة : كتاب للكندي، ومقالة لنصر الدينوري ، ومعلومات لأخوين رازيين .

فالأول (كتاب في الجواهر والأشباه) لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠هـ)، وقد أثنى البيروني عليه وعلى مؤلفه ثناءً بالغاً وقال عنه إن الكندي قد افترع عذرة هذا الفن وطهر ذروته كاختراع البدائع في كل ما وصلت إليه يده من سائر الفنون . أما الكتاب الثاني فهو رسالة بالفارسية لنصر بن يعقوب الدينوري الكاتب . أما المصدر الثالث فهو الاعتماد على أخوين من أهل الري باسم الحسن والحسين كانا جوهريين يعملان عند السلطان محمود الغزنوي وولده مسعود (**المقدمة ص١٣-١٥**) ، أما المصادر الأخرى التي اعتمد عليها البيروني في كتابه فهي الجواهر لحمزة بن الحسن الأصفهاني (٢٨٠ - ٣٦٠هـ) وكتاب زيج الأركند وهو كتاب في سير الكواكب ومنه يستخرج التقويم صنفه أحد علماء الهند . وكتاب الكناش أو المعالجات البقراطية لأبي الحسن أحمد بن محمد الطبري الذي كان طبيباً لركن الدولة البويهي في حدود سنة ٣٦٠هـ ، والكتاب الآخر هو من أخبار الصين والهند لأبي زيد الحسن السيرافي الذي عاش في أواخر القرن الثالث ، وكتب أخرى كالآثين الفارسي وأشكال الأقاليم للإصطخري ، والمشموم للرفاء الكندي ، وكتاب في وصف السيوف للحداد الدمشقي ، وكتاب السلاح للباهلي (**ص١٦-٢٦**) .

مخطوطات الكتاب :

أما مخطوطات الكتاب التي تم الاعتماد عليها في هذه الطبعة فهي :

١ - مخطوطة في الأسكوريال، وقد اعتمدها المستشرق الألماني كرنكو في طبعة حيدر أباد الهند عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

٢ - مخطوطة أخرى في تركيا بمكتبة راشد أفندي ، وقد اعتمدها أيضاً المستشرق كرنكو ، وقال إن كلا النسختين مليء بالغلط والتصحيف .

٣ - مخطوطة في مكتبة طوبقابو سراي بإستانبول برقم ٢٠٤٧، وهي أصحّ النسخ . وقد وقعت متأخرة بيد المحقق كرنكو بعد أن أنجز تحقيقه وتمنى - كما ذكرنا - لو أنها وقعت بيده قبل مخطوطتي الأسكوريال وراشد أفندي.

ومع ذلك فقد انتفع بها ووضع تصحيحاتها في حواشي طبعته ورمز إليها بالحرف (س) ، وتوجد منها نسخة مصورة على الميكروفيلم بجامعة طهران برقم ف ٩٤٦، وقد اعتمد عليها المحقق في هذه الطبعة .

٤ - مخطوطة في برلين .

٥ - مخطوطة في القاهرة بمكتبة تيمور باشا جاء ذكرها في كتاب : كتابشناسي أبو ريحان بيروني [كشاف كتب أبو ريحان البيروني] لأحمد سعيد خان ، ترجمة عبدالحي حبيبي ، طهران ، ١٩٧٣م، صفحة ١٣١ .

٦ - وقد اعتمد محقق هذه الطبعة على نسخة من كتاب أيضاً باسم (نخب من كتاب الجماهر في الجواهر) لتصحيح كثير من الكلمات المغلوطة ، وفي سد فراغات حدثت في النسخ الثلاث ، موجودة ضمن مجموعة برقم ١٥٣٨ بمكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران برقم ١ (**المقدمة ص ٢٧**) .

الفهارس العامة في الطبعة الجديدة :

وقد قام المحقق بمساعدة السيدة بشرى مشكور بإعداد مجموعة من الفهارس التي تساعد القارئ للوصول إلى المعلومات المذكورة في الكتاب بيسر . وقد ضمت قائمة الفهارس إضافة إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فهرس الأمثال، وفهرس الجواهر واللآلئ والأحجار الكريمة والمعادن والفلزات ، واصطلاحات التعدين والنقود وأدوات الزينة والسلاح والثياب والآلات ، وفهرس الأعلام والأمم والقبائل والأماكن والبلدان والأعياد والمناسبات ، إضافة إلى المصادر والمراجع والكتب الواردة في الكتاب والحواشي ، مع قائمة كاملة باختلاف النسخ حسب مصادرها .

وقد طبع الكتاب بدعم من «مركز نشر التراث المخطوط» بطهران ضمن سلسلة إحياء التراث المخطوط ، وقد طبع من هذه السلسلة محققة باللغة الفارسية حوالي ٧٠ كتاباً وباللغة العربية حوالي عشرة كتب منها : خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني ، وديوان أبي بكر الخوارزمي، والتعريف بطبقات الأمم للقاضي صاعد الأندلسي ، وطب الفقراء والمساكين لأبي جعفر أحمد الجزار .

حياة البيروني مؤلف الكتاب :

ومؤلف الكتاب أبو ريحان محمد بن أحمد بن ريحان الخوارزمي البيروني (٣٦٢ - ٤٤٠هـ) فيلسوف ورياضي من أعاظم علماء المسلمين الموسوعيين ، ولد في خوارزم من عائلة غير مرموقة ، ودرس وتربى على يد المنجم والرياضي أبي نصر منصور بن علي عراق في مدينة كاث بخوارزم .

درس الحكمة والفلسفة على يد عبدالصمد الحكيم . ثم انتقل من خوارزم إلى خراسان ومنها إلى طبرستان وجرجان ثم رجع إلى منطقته في خوارزم وأصبح من علماء بلاط أبي العباس مأمون خوارزمشاه خاصة في علم النجوم ، وقد حظي من الاحترام والتقدير أن كانوا يستشيرونه في الأمور السياسية أيضاً .

وبعد نجاح السلطان محمود الغزنوي في خراسان دخل في بلاط السلطان محمود ونجا بأعجوبة من انتقام السلطان الذي شكّ في انتمائاته العقائدية والذي قتل قبل ذلك أستاذه عبدالصمد الحكيم، فقد نجا بسبب تفوقه في علم النجوم وحاجة السلطان إليه . وأخذه معه في بعض غزواته إلى الهند حتى أنه سجن في إحداها وخرج بوساطة وزير السلطان .

قام بأعمال واسعة في مجال علم النجوم والجغرافيا والفيزياء وعلم الحيل والطب والتاريخ وعلم الاجتماع والفلك، وكتب أكثر من مائة كتاب ، يقول ياقوت الحموي عنه إن مؤلفاته تفوق الحصر (**معجم الأدباء ٥/٢٣٣٢**)، ومن كتبه : "تحقيق ما للهند" في عقائد الهنود، "والقانون المسعودي" في الهيئة والنجوم "والآثار الباقية"، "والتفهيم لأوائل صناعة التنجيم" في الرياضيات والنجوم أيضاً .

وبالرغم من طباعة أكثر من ثلاثين عنواناً من كتبه ورسائله ، إلا أن هناك العديد منها ما زالت مخطوطة في مكتبات العالم . وقد قام البيروني باختراع عدة آلات في مجال علم النجوم ففي عام ٤١٨هـ اخترع ساعة شمسية في مسجد الجامع بغزنين وقد كتب كتابه هذا في عهد السلطان مودود بن مسعود الغزنوي وأهداه إلى السلطان .

العلاقة بين السلطان محمود الغزنوي والبيروني :

وقد أضاف المحقق يوسف الهادي في مقدمة كتاب

الجماهر بحثاً مفصلاً عن أخلاق السلطان محمود الغزنوي وغزواته **(ص ٢٨ – ٣٨)** يثبت فيها التصرفات والسلوكيات الظالمة وغير العادلة للسلطان محمود مع البلاد التي كان يغزوها ، أو معاملته مع الفرق التي كان يخالفها ، تمهيداً لطرح موضوع عقيدة البيروني ومذهبه . وأسباب إخفاء البيروني لمذهبه .

عقيدة البيروني ومذهبه :

ثم يضيف المحقق **(ص٤٨–٦٥)** بحثاً مفصلاً عن عقيدة البيروني ومذهبه في الإسلام رداً على بعض الكتاب العرب[٣] والغربيين [٤] ، بشأن عقيدة البيروني ومذهبه ، وبالرغم من جهده واستدلالاته المشفوعة بالدليل ، ألا أن موضع المقال لم يكن مقدمة كتاب علمي كالجماهر في الجواهر الذي يفترض أن يكون كتاباً علمياً محضاً ، وكان الأجدر بالمحقق نشر هذا المقال في أي مجلة أو دورية علمية وتخصصية ضمن إطار البحث عن البيروني وحياته وعقائده . إن كشف حقائق التاريخ وعرض الأشخاص والأحداث بصورها الحقيقية أمر مفيد وضروري ولكن كان من الأجدر عدم خلط الموضوع التاريخي والعقائدي المختلف فيه حول السلطان محمود الغزنوي وعقيدة البيروني في مقدمة كتاب علمي يفترض أن يكون بعيداً عن أجواء الخلافات المذهبية، حتى يتسنى للكتاب أن يأخذ موقعه في المكتبة الإسلامية، وأن لا نكون ضحية مرّة أخرى لألاعيب المستشرقين المغرضين الذين فتحوا هذا الموضوع ، ويبدو حسب تصريح المحقق **(ص ٤٨)** أن كلام فريتز كرنكو حول عقيدة البيروني هو الذي حمله لطرح هذه الموضوع

البيروني في عيون الآخرين :

لقد نال البيروني إعجاب الجميع من المسلمين والمستشرقين على حد سواء .

فكل من كتب عنه من علماء المسلمين أطراه بأحسن التعابير وكشف عن فضله وعلمه، ولكن الذي يثير الإعجاب خصوصاً ونحن نتكلم عن العلوم الطبيعية والرياضيات والفيزياء والنجوم هو ما نقله المستشرقون الغربيون ، يقول ويل دورانت : «يمثل البيروني ، العالم الإسلامي في أحسن صورة له ، فقد كان فيلسوفاً، ومؤرخاً ، ورحالة ، وجغرافياً ، ولغوياً، ورياضياً، وفلكياً، وشاعراً ، وعالماً في الطبيعيات . وكانت له مؤلفات كبيرة وبحوث عظيمة مبتكرة في كل ميدان من هذا الميادين . وكان عند المسلمين كما كان ليبنز Leibniz ويوشك أن يكون كما كان ليوناردو دافنشي Leonardo عند الغربيين . **(ويل دورانت ، قصة الحضارة ١٣/١٨٣)** .

ويقول كراتشكوفسكي : «لا نملك إزاء هذا إلا الانحناء في خشوع واحترام أمام النتائج العلمية الباهرة التي توصل إليها، والتراث العلمي الحافل الذي أنتجه في ظروف الزمان الذي عاش فيه **(تاريخ الأدب الجغرافي العربي ٢٦٤)** .

بهذه العبارات نكتشف أهمية أبي ريحان البيروني ودوره العلمي في تاريخ الحضارة الإسلامية والإنسانية ، ونكتشف أيضاً أهمية كتاب الجماهر في الجواهر وخصوصاً أنه كتب في القرن الخامس الهجري قبل ظهور العلوم الحديثة والصناعات بعدة قرون .

الهوامش

١ – **الجماهر** ، تحقيق كرنكو ، ص٢، من خاتمة الطبعة .

٢ – ذكرها المحقق جلال الدين همائي في مقدمة كتاب التفهيم ص ١٠٦، **(مقدمة الجماهر** ، ص٥) .

٣ – ما كتبه سامي حمارنة في بحثه عن كتاب الجماهر في **مجلة العلوم العربية**، العددان ١، ٢، مج٧، ص٦.

٤ – ما كتبه سارتون عن البيروني ومذهبه واتجاهه القومي في :

- **Introdaction to the history of Science**, George sarton, Baltimor , 1927 : 48 vol . 1. p . 707.

– وما كتبه الباحث ألدوميلي عن علاقات السلطان محمود والبيروني في كتاب **العلم عند العرب** ، ص١٨٨.

– ثم ما كتبه المحقق الألماني فريتز كرنكو الذي حقق كتاب الجماهر وطبعه لأول مرة في الهند في كتاب **الجماهر**، طبعة حيدر أباد، الهند، ١٩٣٦م .